البحث الرابع

معلومات عامة مفيدة [1]

قلنا إن كلمة (صابئة) كلمة مشقتة من الفعل الآرامي (صبا) وتعني (المغتسلة) أو (الصابغون) بالماء الجاري (اليردنا)... أما كلمة (مندائيون) فتعني (معرفيون) بمعنى من عرف الحي العظيم بالعقل... وكلمة (مندي) فتعني بيت المعرفة والعلم ، لذلك فالاسم المحبب عندهم (الصابئة المندائيون) أي (الصابغون المعرفيون)... وهناك من يفسِّر كلمة (مندائيون) بمعنى (من دعا ربه)... وكثيرة هي التفسيرات.

وقلنا إن لغتهم المندائية هي لهجة آرامية شرقية تقترب كثيرًا من اللهجة السريانية، وعمومًا فإن اللغة الآرامية تنقسم إلى لغة آرامية شرقية ولغة آرامية غربية، الآرامية الشرقية تشمل السريانية والكلدانية والمندائية والآشورية، أما الآرامية الغربية فتشمل اللهجة التدمرية واللهجة العبرية...

الرجل والمرأة متساويان في الدين المندائي مثل أسنان المشط، حيث أن المرأة تشارك الرجل في كافة الأعمال ، إضافة إلى مهمتها المقدسة التي خصها بها الحي العظيم ؛ وهي الإنجاب وتربية الأطفال تربية حسنة ليكونوا أطفالاً صالحين في المجتمع.

الدين المندائي يحث المندائيين على الزواج والإنجاب، ولكل من الرجل والمرأة حق اختيار شريك الحياة، المرأة المندائية امرأة متطورة شغلت مناصب مهمة وأبدعت في الطب والتعليم والهندسة والعلوم.

اختلفت وجهات النظر في مسألة الطلاق وتعدد الزوجات، الطلاق سموه الفراق لأن الرجل إذا ترك زوجته وحتى لو قال لها أنتِ طالق؛ فمن حقه أن يرجع لها

١- للأستاذ مؤيد مكلف مقالات وبحوث قيمة ، من المهم الإطلاع عليها.

ثانية دون الحاجة إلى إجراء مراسيم المهر المندائي مرة ثانية بينهما، إذ لا يجوز إجراء مراسيم المهر لرجل وامرأة سبق وأن تمَّ إجراؤها لهما مسبقًا... ولهذا فهو فراق وليس طلاق.

أما عن تعدد الزوجات فإنه لا يوجد نص ديني واضح وصريح في كتاب الكنزا ربا بهذا الخصوص سوى هذا النص (الذي يحتاج إلى تفسير من المجلس الروحاني الأعلى في حال تشكيله)... (أيها الرجال... إذا اتخذتم لأنفسكم أزواجًا فاختاروا من بينكم وأحبوهن، وليحفظ أحدكم الآخر، واعتنوا ببعضكم عناية العيون بالأقدام، ليحب بعضكم بعضًا، وليحتمل بعضكم بعضًا، تعبروا بحر سوف العظيم، لا ينفصل بعضكم عن بعض حتى تنتهي أعمالكم، لا تكونوا كالنبت الرديء يشرب الماء ولا يعطي الثمر)... هذه بوث منقولة نصًا من كتاب الكنزا ربا اليمين (الوصايا) الصفحات (١٧-٢٢-٢٤).

وهنا أريد أن أقف عند بوثة (لا ينفصل بعضكم عن بعض حتى تنتهي أعمالكم)... الكلام واضح وصريح ولا يحتاج إلى ترجمان ليفسره لنا، هذا كتاب الكنزا ربا يقول وليس كتاب ثانوي من وضع البشر، وسوف تجد هناك من يقول هل كتاب الكنزا ربا كله كلام الحي العظيم؟ نقول له نعم... الحي العظيم يقول معنى ولفظًا، أو يقول معنى وصياغة المعنى تتم من قبل الملاك الرسول أو من قبل النبي الذي نزلت عليه البوثة مباشرة أو بواسطة الملاك الرسول، أي وحيًا أو فيضًا إلهيًا، وهذا موضوع فيه عمق فكري يحتاج إلى تفصيل في فصول لاحقة.

البكارة في الديانة المندائية :

الفتاة المندائية في يوم زواجها يجب أن تجرى لها مراسيم دينية بواسطة رجال دين، وقبل بدء هذه المراسيم يجب أن تفحص الفتاة من قبل طبيبات وبإشراف زوجة رجل الدين أو أمه للأمانة وللتأكد من بكارتها... لأن الفتاة فاقدة العذرية

(الثيب) تُجرى لها مراسيم الزواج من قبل رجل دين آخر يسمى (أبيسق)، وعن هذه الظاهرة حاول عدد من المثقفين والمثقفات وخاصة من المقيمين في بلدان المهجر تجاوزها، لكن إصرار رجال الدين عليها أبقاها ثابتة دون أي تغيير.

الدرفش (الدرافشا) :

راية يحيى أحد رموز التعميد، وهو عبارة عن غصنين من شجرة الزيتون المباركة متقاطعين، يُلف عليهما وشاح من القماش الأبيض، والدرفش مقدس عند المندائيين ويُرفع فوق بناية المندي (المعبد)، وتعلق صوره في دور العبادة وفي بيوت المندائيين.

– السنة المندائية اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا بالتمام والكمال، والسنة الواحدة ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا، لا تحسب خمسة أيام منها وهي أيام البنجة (عيد البرونايا) الذي تمَّ فيه الخلق العلوي، وهو رأس السنة، ولا توجد عندهم سنة كبيسة، والأيام الخمسة هذه غير محسوبة من العمر، لأنها تخصص لعبادة الخالق بمعزل عن الدنيا وبهرجتها، فلا عمل ولا بيع ولا شراء، فقط عبادة الخالق، وتكون في هذه الأيام أبواب الجنة مفتوحة، والمندائي الذي يتوفاه الله في هذه الأيام مثواه الجنة.

– المندائيون بشكل عام أناس تقدميون متنورون يعشقون الحرية والتحرر، وقدموا تضحيات جسيمة في نضالهم ضد الدكتانورية والاستبداد والظلم، ودفعوا ثمنًا باهظًا عام ١٩٦٣ في معتقلات الحرس القومي، وهم يعشقون النظام العلماني الديمقراطي لأنه يمثل حكم الشعب، ويرفضون التطرف الديني المقيت ويؤمنون بحرية التعبير، ويكرهون التسلط الفردي ونظام الحزب الواحد المطلق، ويحبون كل الناس ويحترمون كل الأديان، ويؤمنون بالله الواحد الأحد وبكل الأنبياء والرسل والكتب السماوية المنزلة، ولا يفرقون بين الناس أبدًا على أساس الدين أو المذهب أو اللون أو القومية (كلنا من آدم ، وآدم من تراب).

– أول أنبيائهم هو النبي آدم رأس السلالة البشرية وخاتمهم النبي يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) والذي ورد ذكره في كتبهم الدينية باسم (يهيا يهانا)، فأخذ الشرقيون الاسم الأول يهيا وحوروه باللفظ إلى يحيى، وأخذ الغربيون كالعادة الاسم الثاني يهانا أو يوهانا وسموه يوحنا، ولأنه يصبغ أي يعمد الناس بماء نهر الأردن سموه يوحنا المعمدان.

ولدى نبي الله يحيى كتاب (تعاليم النبي يهيا يهانا) ويسميه الصابئة المندائيون كتاب (دراشا أد يهيا)، ومؤخرًا اكتشف في الأردن مغطس النبي يحيى الذي كان يعمِّد فيه الناس، وعُمِّد فيه السيد المسيح، كذلك ظهرت مخطوطات محفوظة في جرار فخارية بعناية فائقة في نجع حمادي وخربة قمران، ولم يُفصح عنها بشكل واضح حتى الآن. ويقال إن مخطوطات نجع حمادي تخص أقوام يدعون الشيتيين نسبة إلى شيت بن آدم الذين عاشوا في أرض الكنانة.

أما مخطوطات خربة عمران فإنها تعود إلى أقوام عاشوا في حوض البحر الميت في فلسطين منهم الأسنيين واليبوسيين والسامريين وغيرهم، والحقيقة أن هذه المخطوطات تحتفظ بها المؤسسات اليهودية والمسيحية ولم تُفصح عنها وتنشرها، ولا تسمح للباحثين والمختصين الإطلاع عليها لأمر ربما يغيِّر كثيرًا من المفاهيم التي أرسلتها هذه المؤسسات عبر التاريخ بما يخدم دينهم وتاريخهم. ولهذا نقول مع الأسف إنه منذ البداية اليهودية والمسيحية ظلمتا الصابئة المندائيين، ولم يذكروهم في مدوناتهم وكتبهم سوى ذكرٍ عابرٍ للنبي يحيى بن زكريا (يهيا يهانا) أو يوحنا المعمدان، ولم يذكروا لنا لماذا عمد يهانا السيد المسيح، وكيف عمده تعميدًا صابئيًا مندائيًا.

– أما رجال الدين المندائيون فلهم درجات دينية تبدأ بالحلالي وتنتهي بالربي، ولم يصل إلى درجة الربي سوى النبي يهيا يهانا، وندرج هنا سلسلة مراتب رجال الدين: حلالي / شكندا / شولية / ترميذا / كنزفرا / ريش آمة / ربي.

رجل الدين المندائي حياته المعيشية بالغة الصعوبة لأنه مسؤول عن إعداد طعامه وشرابه وكذلك لباسه ، وهنالك قيود كثيرة تحدد من ممارسة حياته الطبيعية، كما أنه يتوجب على كل من يريد أن يصبح رجل دين أن يكون كامل الخلقة (أي لا يوجد تشويه أو نقص في جسمه) ، وأن يكون مؤمنًا إيمانًا عميقًا بالدين ومتعلم، يجيد اللهجة المندائية وحافظًا للكثير من النصوص الدينية المهمة ومطلعًا على الكثير من الأمور وخطيبًا ومفسرًا وشخصية أمينة صادقة كريمة وخيرة بكل ما تعنيه هذه الكلمة.

– علاقة الصابئة المندائيين بالفراعنة والسومريين والبابليين والكلدانيين والآشوريين، إن ارتداء الملابس البيضاء (الرستة) أثناء إجراء المراسيم الدينية ومنها الصباغة (التعميد) كانت تجرى في الأنهار الجارية في بابل ومصر وغيرها من الحضارات ، والتي تدل على النظافة والطهارة، وهذا ما يؤكده لنا التاريخ والآثار على لسان المؤرخين والباحثين ، فالمياه الجارية عندهم تملك صفة الحياة ، حتى المصريين القدماء كانوا يطهرون معابدهم بالماء المقدس ويبخرونها بأطيب العطور ، ثم يقدمون القرابين ، كذلك عرف القدماء عبر التاريخ أحواض المياه المقدسة الخاصة بالتطهير ، حتى المسيحيين وإلى وقت قريب كانوا يمارسون شعيرة التعميد بالغطس بالماء ، ولكن مع الوقت حدثت تحسينات وتطور على هذه الشعيرة وذلك لكثرة أعداد الناس فاكتفوا (اجتهادًا) برش الماء المقدس ، بينما هناك نحل مسيحية مازالت تمارس التعميد بالغطس بالماء كما عمد يوحنا المعمدان السيد المسيح في نهر الأردن.

– تعميد المحتضر ودفنه : عندما يحتضر المندائي وقبل أن يموت يجب أن يُطمش بالماء الحي (أي يُغسل) ثم يتم تلبيسه الملابس البيضاء (القماشي) ويُمدد على ظهره باتجاه الشمال وأهله وأحباؤه يحرسونه إلى أن يموت ، أما عملية دفن المتوفى فيجب أن تكون في وقت النهار (أي قبل وقت المغيب) ، ويكون اتجاه القبر نحو الشمال ، أما من مات موت فجائي بحادث ؛ فغالبًا تُجرى له المراسيم الدينية المعتادة، ولكن في مناسبة البنجة (البرونايا) يجب أن تُجرى له

(مسقثة) يقوم بها رجال الدين حصرًا ، وذلك لمساعدة النشمثا (النفس) على الصعود والارتقاء إلى عالم الأنوار ، ولتخفيف الحساب على روحه ، وهذا ما كان يقوم به الفراعنة والسومريون والبابليون.

– نشأ الدين المندائي طبقًا لما مذكور في الكتب الدينية المندائية من عالم الأنوار ، وأن الملائكة الأثريين خلقهم الحي العظيم مندائيين ، وأن عالم النور عالم مندائي وقد خلق الله آدم وحواء مندائيين ، وأنزل عليهم التوحيد والوصايا والتعليمات والأسماء كلها بواسطة الملاك منداديهي (عارف الحياة) (أنا الرسول الطاهر أمرني ربي أن أذهب ونادِ آدم وحواء زوجه بصوت سني ، علم آدم ليستنير قلبه ، وقومه ليستنير عقله وجنانه ، كن أنسًا له أنت والملاكان اللذان معك إلى العالم سيهبطان... علمه وزوجه وذريته الحكمة كي لا يغويهم الشيطان ، علمهم الصلاة يقيمونها مسبحين لملك النور السامي ثلاث مرات في النهار ، ومرتين في الليل... قل لهم اتخذوا لأنفسكم أزواجًا وتناسلوا منكم ليزداد عددكم وإذا تقربون أزواجكم فاطمشوا وطهروا نفوسكم... قل يا عبادي لا تزنوا ولا تسرقوا... ولا تنتهكوا حرمات الناس)... من كتاب الكنزا ربا– اليمين (الوصايا).

وتذكر الكتب الدينية للصابئة المندائيين أن العالم مرَّ خلال تاريخه بثلاث نكبات قضت على البشرية ، ولم تبقَ منهم في كل مرة إلا رجل وامرأة تعمر من نسلهم الدارة الجديدة للبشر ، ووفق التالي :

١– يُدمر العالم الحريق ويبقى الرجل رود وامرأته.

٢– يُدمر العالم بالسيف والوباء ويبقى الرجل شورباي وزوجته شرهبيل.

٣– يُدمر العالم بالطوفان ويبقى الرجل سام وزوجته نهوريتا ويُعمر من ذريتهما هذا العالم.

وتحكي لنا قصة الطوفان كما يحكي لنا كتاب الكنزا ربا (الكنز العظيم) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين أن سفينة نوح بعد انحسار المياه جنحت على سفح

جبل قردون في شمال العراق، من سلسلة جبال آرارات قرب مدينة حران التي بناها فيما بعد نبي الله إبراهيم الخليل، ومن هذه المدينة التي تقع في المثلث التركي السوري العراقي انحدرت ذرية سام ونهوريتا إلى جنوب العراق، حيث المياه البهية ومصبات دجلة والفرات وشط العرب والكرخة والكارون والدز...

ومن مدينة حران اتجهوا غربًا إلى فلسطين وسكنوا على ضفاف نهر الأردن وسواحل البحر الميت قرب المياه الجارية، ومن بلاد ما بين النهرين أرض شنعار اندفع عدد منهم إلى شبه الجزيرة وسموهم بالصابئة، وعند ظهور نبي الله إبراهيم الخليل الذي وُلد في مدينة أور السومرية وتأسيسه للدين الحنفي بعد اختلافه مع الصابئة المندائيين لأنه طلب منهم عبادة الله عبادة خالصة، لكنهم كما تذكر لنا بعض البحوث اختلفوا معه لأنه بشر مثلهم، ولأنه ختن نفسه بسبب مرض في غفلته والله أعلم... بسبب عدم وجود وثائق أو آثار أركولوجية تؤكد ذلك... لذا ذهب بعض الباحثين إلى أن إبراهيم الخليل شخصية أسطورية من أساطير الأولين.

وقد كتب الأستاذ مؤيد مكلف سوادي بعض المقتطفات المفيدة نذكر هنا منها التالي:

الصابئة المندائيون وصابئة حران :

هناك التباس وخلط شديدان جرى ويجري بين صابئة حران والصابئة المندائيين افتعله بعض المغرضين بهدف طعن الدين الصابئي المندائي وتشويه مفاهيمه، وقد جرى ذلك على يد (أبي يوسف أيشع القطيعي) و(ابن شنكلا) و(ابن البهلول) وغيرهم في وقت كانت فيه الصراعات الدينية على أشدها في ذلك الزمن، وقد تلقف للأسف بعض المؤرخين الإسلاميين مثل (ابن النديم) و(الشهرستاني) هذه الأقوال وثبتوها دون تمحيص في مؤلفاتهم، وهي أقوال موضوعة ومختلفة.

وحقيقة الأمر أن مدينة حران هي مدينة تجارية عريقة وكبيرة وتقع على مفترق طرق تجارية، وقد نشأت قبل الميلاد بقرون عديدة وسكنتها أقوام شتى من قوميات وأديان مختلفة ، منهم التجار والعلماء والفلاسفة والمعارضون السياسيون وطلاب العلم والحرفيون، كما لاذ بها على مر الأزمان مضطهدون وأحرار وفلاسفة فرارًا من الاضطهاد والظلم، فاحتضنتهم وحمتهم وأصبحت لهم ملاذًا آمنًا ، ومن جُملة من سكنها (الصابئة المندائيون) وكانوا يترددون عليها ذهابًا وإيابًا إلى بلاد الشام ، وكان هؤلاء الصابئة يعيشون فيها بسلام وأمن مستقلين عن غيرهم بدينهم وتقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم.

وحين نتحدث عن إخوتنا هؤلاء لا يهمنا أمر الأقوام الأخرى التي سكنت حران أو التي ادعت الصابئية كما يروي (أيشع القطيعي) ، ونحن حين نتصفح كتبنا الدينية نجد معلومات تشير إلى انتشار الدين الصابئي المندائي في كل مكان ، وأن المندائيين في أوقات الشدة أو حين يحل بهم الاضطهاد يلجأون إلى حران ، وحين حل بهم الاضطهاد في أورشليم في القرن الأول الميلادي وتعرضوا للإبادة؛ هاجروا إلى حران ، فاستقبلهم إخوتهم هناك وآزروهم وحموهم، وحين انتشرت حركة الترجمة ونقل العلوم في بلاط الخلفاء العباسيين انحدر علماء

وفلاسفة ومترجمون مندائيون إلى بغداد وتصدروا العمل وأغنوا المكتبة العربية بأنفس الكتب أمثال ثابت بن قرة وأحفاده، وأبو إسحاق الصابي والبتاني وأبو منصور الصابي وهلال بن إبراهيم بن زهرون وأبو روح الصابي وأبو جعفر الخازن وأبو فتح المندائي وغيرهم، هؤلاء جميعهم صابئة مندائيون لا غبار عليهم ولازالت بعض مؤلفاتهم حية ومتيسرة في المكتبات.

هل عاش الصابئة لفترات طويلة في بيئة منعزلة :

مرَّ الصابئة المندائيون بظروف صعبة جدًا خاصة بعد سقوط الدولة العباسية وهيمنة الأجانب على شؤون الدولة، وتشتتوا في كل الأصقاع والتجأوا من أجل النجاة بحياتهم للعيش في بطائح العراق الجنوبية، بعد أن غادروا مراكز المدن بسبب الاضطهاد الذي لحقهم من الجيوش الغازية، فعاد بعضهم إلى حران ، وبعضهم الآخر لجأ إلى غابات ديالي وعملوا بالزراعة، ثم أسلموا بعد الضغوط التي انصبت عليهم وخلت بغداد منهم والتحقوا بإخوتهم في واسط، ثم انحدروا للعيش في البطائح وتآلفوا مع ظروفهم الجديدة في تلك المناطق والريفية ، وعمل أغلبهم بمهن يدوية بسيطة كصنع الزوارق والسفن الشراعية ومستلزمات الزراعة كالمنجل والمحراث ، وبالصياغة كصنع المصوغات اليدوية من المعادن الثمينة ، كما كان التعامل مع الأهالي في تلك المناطق يجري بنظام المقايضة بسبب ندرة النقود، كما اضطر المندائيون في تلك المناطق النائية إلى العيش بشيء من العزلة حفاظًا على دينهم وطقوسهم وتقاليدهم بعيدًا عن أعين الرقباء.

كيف استطاع المندائيون المحافظة على دينهم وتقاليدهم كل تلك القرون :

لقد اندثرت خلال الزمن ديانات عدة، وزالت من الوجود أقوام كثيرة وتحولت أمم من دين إلى دين ، وتغيرت بعض العقائد وضاعت صلة بعض الأقوام بماضيهم ، ولكن الصابئة المندائيون ظلوا متمسكين بدينهم وتقاليدهم بقوة

ومحافظين على طقوسهم وعاداتهم عبر تلك العصور ، ووجودهم حتى الآن أعجوبة ، فبرغم التنكيل الذي حل بهم والضغوط الحادة التي سلطت عليهم استطاعوا تحدي الصعوبات والبقاء ، صحيح أنهم قد انحسروا من مناطق سكناهم وخسروا أوطانًا كانوا يقيمون فيها ، لكنهم بقوا إلى عصور متأخرة متمسكين بوطنهم العراق ، ولكل هذا التشبث بدينهم أسباب لابد من تحديدها ومعرفتها ، وبوسعنا توضيحها ، وأهمها :

١- أن الحي الأزلي هو الذي حماهم بحكمته لأنهم قوم موحدون.

٢- قوة مبادئهم الدينية وصدقها وشدة تمسكهم بها.

٣- تمسكهم بمبادئ السلام وابتعادهم عن الحروب والنزاعات ونبذهم لسياسة الشر والعدوان.

٤- قلة عددهم أدى إلى تراص صفوفهم وتماسكهم.

٥- بسبب تميزهم بالذكاء وحسن التكيف مع الظروف المحيطة بهم.

٦- بسبب بسالة وثبات رجال الدين المندائيين ومحافظتهم على جوهر الدين.

٧- ظهور أنبياء ومصلحين خلال فترات من الزمن كانوا خير معين ومرشد لأبناء الطائفة.

٨- المحافظة على نقاوة الدم والسلالات الدينية مما أدى إلى محافظتهم على سماتهم المميزة.

٩- احترافهم لمهن حرفية خدمية تهدف إلى خدمة المجتمع.

١٠- إن أقوى عنصرين صانا المندائيين والديانة المندائية هما الإيمان العميق والمعرفة الشاملة للحياة.

هل للديانة المندائية تأثير على الديانات الأخرى ؟ :

المندائيون على اعتقاد جازم بحكم تعاليمهم الدينية، وما ورد في كتبهم الدينية المقدسة أن النبي الأول الذي ظهر على الأرض وعَبَدَ الله هو آدم عليه السلام، ولدى الطائفة المندائية كتابهم المسمى كنزا ربا أو سدرا آدم ، وكذلك تعاليمه وشرائعه ، ثم جاء بعده أولاده وأحفاده شيت وإدريس ونوح وسام وإبراهيم ويحيى عليهم السلام، وهؤلاء هم أنبياء الصابئة.

والصابئة كما تقول الأديبة (لميعة عباس عمارة) في مقالة نشرتها مجلة المندائي العدد الأول صفحة ١٩ عام ١٩٩٠، والتي تصدر في أمريكا (هم بقية أقوام متعددة عرفوا الله وعبدوه وآمنوا بالآخرة والملائكة وتطرقوا في الروحانيات ثم جاءت بعدهم الديانة اليهودية عام ١٣٠٠ ق.م على يد النبي موسى، وهي تؤمن بكل ما تقدم، ولكنها اكتشفت أن القوة والمال والاتحاد هي القوانين التي تحكم العالم، لذلك طوروا دينهم بعد موسى للواقعية المادية وبالغوا في إهمال ما وراء الطبيعة... وحين كان السلطان في أيديهم واستندوا على دول أسسوها وجيوش احتلوا بها الأقاليم ترسخ هذا المعتقد بينهم، لكنهم بعدئذ حين وقعوا تحت حكم الرومان وفقدوا استقلالهم وسلطانهم بدلوا مفاهيمهم نحو الأفكار الروحانية والتي هي سلاحهم لتحريك الجماهير ضد الاحتلال ، لكنهم بقوا يراوحون بين هذه الأفكار ونقيضها حسب الظروف...

ثم جاءت المسيحية لتعديل التطرف في اليهودية فنادى المسيح بعبادة الأب (الله) واهتم جدًا بملكوت السماء وحارب عبادة المال وسن الرهبنة واهتم بالآخرة وسامح واعتمد على قوة الروح لا قوة السلاح، ثم جاء الإسلام فنادى أن الله أحد لم يلد ولم يولد ، أي عبادة الله الواحد والإيمان بالآخرة والملائكة والصلوات اليومية المتعددة والصوم والحج والصوفية والجهاد من أجل نشر الدعوة الإسلامية، وقد وازن بين الحياة الدنيا والآخرة فلم يُهمل أحدهما على حساب الأخرى).

وهكذا يثبت أن أول دين توحيدي ظهر على الأرض هو الدين الصابئي على يد أبي البشرية آدم ، وقد أثبت الباحث العراقي خزعل الماجدي في مؤلفه (جذور الديانة المندائية) الصادر عام ١٩٧٧ ذلك حين يقول : (إن الدين الصابئي المندائي دين توحيدي ، شأنه في ذلك شأن الديانات الموحدة الأخرى المعروفة وأصول الديانة الصابئية تمتد بجذورها راسخة في أرض العراق القديم ، وتحديدًا في أرض سومر قبل السومريين).

وللباحثة والمفكرة المندائية الأديبة لميعة عباس عمارة رأي طريف جاء في محاضرة ألقتها في أمسية عنوانها (الإسلام والصابئة المندائيون) ، ونشرتها في مجلة المندائي وهو عدد خاص السنة السابعة آذار ١٩٩٦ ، وتستحق التوقف والتأمل ، فالباحثة تتساءل وتقول : حين نُعدد الكتب السماوية المنزلة نجدها (القرآن والتوراة والإنجيل) ، وقد ورد في القرآن الآية التالية {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[١] ، ثم تتساءل ما هي صحف إبراهيم هذه التي سبقت موسى بستمائة عام، وما هو اسمها؟...

ثم تتساءل ما كان دين إبراهيم إذن ؟، ثم تقول (إن صحف إبراهيم هي الكنزا ربا) المندائية ، الكتاب الديني المندائي الرئيسي ، وتستند في ذلك على آيات وردت في القرآن وهي (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إبراهيم وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٢]... ثم تتساءل الباحثة وتقول : من حقنا إذن أن نبحث عن أتباع إبراهيم والذين عاشوا عام ١٩٠٠ ق.م وما قبله، أي قبل العبرانيين (قوم موسى) بستمائة عام فهل اندثروا ألم يبقَ منهم أتباع، ألم يتطوروا، أم حافظوا على بدائية الدين الأول.

وتصل الباحثة إلى قناعة أن أتباع دين إبراهيم هم حفظة صحفه وهم الصابئة، وكانوا يسمون في الجزيرة العربية (الأحناف) ، وقد دخل بعضهم في الدين الإسلامي ، وبقي منهم أقلية قليلة حتى اليوم وهم الصابئة، وتذكر أن الصديقين

١- القرآن الكريم : سورة الأعلى- الآيتان ١٨ ، ١٩.
٢- القرآن الكريم : سورة آل عمران-الآية ٦٥.

الحميمين للرسول محمد كان أحدهما من الأحناف واسمه (ورقة بن نوفل)، وهو ابن عم زوجته (خديجة بنت خويلد) ، أما الثاني فهو من الصابئة (سلمان الفارسي)...

ثم تتناول الباحثة مفهوم ما ورد في كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني ، عن موضوع الخلاف بين الصابئة والأحناف بعد زمن إبراهيم الخليل ، وتقول الخلاف بينهما يُشبه الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت ، وكلهم مسيحيون ، ولكن برزت بينهم خلافات في التفكير والتطبيق ، وتقول إن الأحناف هم عرب متعصبون لعاداتهم وسلوكهم ، فهم يحتقرون الحرف والمهن اليدوية كالزراعة والصناعة ويستنكفون من هذه الأعمال ، ويميلون أكثر إلى التجارة والغزو ، وهما الصفتان الملازمتان لهم ، كما كان حاصلاً لقبيلة قريش ، بينما تعلق الصابئة بالمهن اليدوية من أجل العيش وبالزراعة لإدامة الحياة.

كما كان هناك خلاف آخر بينهما ، فالأحناف يقولون يجب أن يكون هناك نبي من البشر يتوسط بين الله والإنسان ، بينما يقول الصابئة إن تلك العلاقة بين الله والبشر تتم بواسطة الأرواح النورانية (الملائكة) ، فهي التي تتنزل على الأنبياء على شكل وحي ، ولا يوجد اتصال مباشر بين الله والإنسان ، ومن هنا اختلفوا ، كما كان الصابئة ولا يزالون يكرهون الحروب والقتال ويحرِّمون القتل والغزو ، بينما يميل العرب لهذه الأمور بفعل ظروفهم وبيئتهم الاجتماعية.

وخلاصة ما وصلت إليه الباحثة هو أن الدين الصابئي سبق كافة الأديان ، وأنه كان سائدًا في الأرض قبل إبراهيم هو الكنزا ربا المندائي ، كما أرادت الباحثة أن تثبت أن كلمة (الإسلام) أو (المسلم) هي صفة المؤمن وليست هي كلمة خاصة بالمسلمين فقط ، فقد وردت هذه الكلمة في كتب الصابئين الدينية (الكنزا ربا وسيدرا آدم) ، وكما يلي (وشوما لكلهن شلمانيا قشطا ومهيمنا) ، وترجمتها (واسمه لكل المسلمين قسط وإيمان). وكذلك يوجد ما ترجمته (وذكروك برؤية حق... وآمنوا بك بقلب سليم) أو (طوبى للمسلمين المؤمنين) ، أو (يا مسلمون ومتدينون... يا متدينون ومسلمون لا تخدعوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس

البشرية) ، أو (لأن من في قلبه بُغض لا يُعد مسلمًا) ، أو (واسمه ملء أفواه المسلمين المؤمنين بالحق)... وكل هذه الآيات تُثبت أن صفة الإسلام هي صفة شائعة بالإيمان قبل الإسلام ، كما أنها واردة في الديانات الأخرى ومنها الديانة المندائية ، ومن أجل إظهار تأثير الديانات السابقة على ما استجد من ديانات لاحقة...

أقتبس هنا بإيجاز أقوال للدكتور رشيد البندر منشورة في مجلة الصابئي المندائي في هولندا العدد ١٣ عام ٢٠٠٠ ، من موضوع تحت عنوان (الجنة في الديانات) ، فقال وهو يقارن في هذا الموضوع بين مختلف الديانات مبتدئًا بالديانة المندائية ، حيث قال تُوصف الجنة عند المندائيين بأنها (دار الحق) ، وهي عالم مثالي وموطن الآدميين السماويين ، ويكون موقعه في الشمال من الكون حيث يقع عالم النور ، ويتم الدخول في الجنة عن طريق وزن الأرواح ، فإن كانت صالحة تدخل وإلا تتطهر من ذنوبها قبل ذلك ، والمسؤول عن هذه العملية ملاك يُدعى (أباثر) ، وهو يقابل (رضوان) عند الأخوة المسلمين ، ولكن المندائيون يقولون إن الروح وليس الجسد هي التي تعود إلى موطنها الأصلي الذي انبعثت منه (عالم الأنوار) حيث تتحد بالذات الإلهية.

ثم عرج على الجنة اليهودية وقال : إن الديانة اليهودية لم تضع عالم الآخرة من اهتماماتها ، بل جنة هذه الديانة وجحيمها هما في هذه الدنيا على الأرض ، ولم تظهر فكرة البعث في نظر اليهود وفكرهم إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان على إثر هيمنة الرومان على أوطانهم وفقدان استقلالها ، وربما أخذوا فكرة البعث عن المندائيين أو الفرس أو المصريين.

وقد وردت هذه الفكرة في التوراة على النحو التالي (وغرس الرب جنة عدن وجعل هناك الإنسان الذي جبله الرب الإله من الأرض ، كان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس (انهار) وهي (فيشون وجيحون وحداقل "دجلة والفرات")... إذن فالجنة اليهودية لا تبتعد عن الأرض.

أما الديانة البوذية التي تأسست عام ٤٨٣ ق.م على يد بوذا فتصف الجنة على أنها الأرض الطاهرة والمنطقة السعيدة وموضعها في الجهة الغربية من الكون، أما شروط دخولها فخمسة تأملات عامة وهي : (المحبة والشفقة والفرح والطمأنينة والتأمل في الخطيئة)، وكما أكدت الديانة الصابئية على نسخ الناس الخيرين في الجنة إلى درجة الملائكة بقولها (موطن الآدميين السماويين)، كذلك فإن البوذية اعتبرت الجنة (منطقة روحية يسهل دخولها فقط للكائنات الروحية)، وهكذا يظهر تأثير الديانة الصابئية على البوذية، وهذا يدل على قِدم الديانة الصابئية.

أما المسيحية فقد تحدثت عن الآخرة بشكل واضح، وهي لم تضع في حسابها مشروعًا دنيويًا، وتحدثت عن الحياة الدنيا بسلبية وتعصبت لشخصية (عيسى بن مريم) الذي قيل إنه كان متأثرًا بالبوذية إلى حد كبير... والمسيحية كالصابئية والبوذية؛ ينسخ في جنتها الإنسان إلى ملاك وعُرفت الجنة بملكوت السماوات أي (أرض الله)، أما الجنة في الديانة المانوية والتي ظهرت في العراق في القرن الثالث الميلادي على يد مؤسسها (ماني بن فاتك) ٢١٦- ٢٧٧، فقالت بالنسخ الروحي طريقًا للتطهير من الذنوب، فتستمر الروح المذنبة بالانتقال من جسد إلى آخر حتى تتخلص نهائيًا من ذنوب الجسد، لتذهب بعد ذلك إلى الجنة التي يعرفونها بأنها أرض النور أو حدائق النور، ولها أعضاء خمسة هي (النسيم والريح والنور والماء والنار)، وكما في المندائية والبوذية والمسيحية تتحول روح الإنسان بعد خلاصها من الذنوب إلى ملاك في جنان النور...

أما الجنة الإسلامية فهي تكرار لما في الحياة الدنيا من جمال وطيب، وأن الإنسان يبقى فيها على إنسانيته يمارس غرائزه دون أن يُنسخ إلى ملاك كما في بقية الأديان، بل تبقى فيها الرغبات والشهوات، أما مكانها فيقع فوق السماوات السبع وخازنها اسمه (رضوان)، وقد جعل الإسلام النساء زينة للجنة كما تتحقق جميع الرغبات المادية الأخرى، وهكذا نرى أن الجنة مذكورة في كل الأديان المعروفة وتبقى أمنية للإنسان وحيدة في مخيلة كل محروم في الدنيا!

ظروف تاريخية محزنة مرَّت على المندائيين :

عاش المندائيون قروناً عديدة بأمن وسلام نسبيين في بلاد الرافدين بين مختلف الأقوام، وشاركوا بقوة في بناء هذا الوطن ونهضته الحضارية وعوملوا معاملة عادلة كبقية الأديان الموحدة طيلة فترة الحكم الراشدي والأموي والعباسي، وتبوأ اللامعون والمثقفون منهم مناصب عليا في بلاط الخلفاء في صدر العصر العباسي واشتهروا كمترجمين وأطباء وعلماء فلك وأدباء وشعراء وفلاسفة ومؤلفين وكيميائيين وساهموا في إغناء المكتبة العربية بعشرات المؤلفات المترجمة والموضوعة، وحازوا اعتزاز الخلفاء بهم فأغدقوا الأموال عليهم...

كما عاش معظم المندائيين في الحواضر والقرى كالبصرة وواسط ودشت ميشان برفاهية نسبية حين كانت الخلافة قوية وصوت الحكومة مسموع ومطاع وسياسة الدولة واضحة والعدالة تشمل الجميع، ولكن وبحلول النكبة عام ١٢٥٨م واجتياح المغول للبلاد قُلبت الأوضاع...

فسقوط الحكم العربي أدى إلى اضطهاد الشعب وتشريده وشيوع القتل العشوائي فخربت بغداد واندثرت الحضارة وحل الشقاء محل السعادة، وبزوال الحكومة تحكم المحتل وأعوانه برقاب الناس، وتبعثرت البلاد إلى إقطاعيات ومشايخ وإمارات، وفقد الأمن فبرزت اضطهادات شديدة من قبل العناصر المتخلفة والحاقدة، كان الهدف منها إرغام غير المسلمين على تغيير دينهم، فساد البؤس وكثرت الأحزان وتأزمت الأمور، ففر الناس من ديارهم وكثر القتل فيهم، فانزووا في أقاصي المناطق الموبوءة وفتكت الأوبئة بالآلاف من الأرواح...

لكن مع ذلك تمسك الصابئة بدينهم وتعلقوا بطقوسهم وتقاليدهم ولم يذوبوا في التيارات الأخرى واضطروا إلى الانغلاق على أنفسهم وتحددت علاقاتهم الاجتماعية، ثم استطاعوا تجاوز المحنة جزئيًا محافظين على دينهم وسلالاتهم ونقاوة دمهم وعلاقاتهم الأسرية... ولكن المحن بقيت تلاحقهم على يد الطغاة

ومرضى النفوس كما حدث في : (الجزيرة وششتر وديزفول والمحمرة والمركب)، والتي راح ضحيتها الآلاف من المندائيين.

وفي بعض الأحيان أبيد رجال دينهم بيد الغوغاء كما حصل على يد (السلطان محسن مهدي وولده فياض) في الجزيرة (كما تخبرنا وثيقة يمتلك نسخة منها المرحوم الشيخ دخيل عيدان)، وأشارت إليها (المسز دراور) بعض مؤلفاتها... ولهذا السبب كان المندائيون لا يزالون يكرهون أي حكم عنصري متعصب وغير متسامح، ويفرون من مناطق الحروب والنزاعات المسلحة والخصومات الدامية، ويبشرون بمبادئ الرحمة والإنسانية والتسامح...

ومع ذلك فهم واعون وواقعيون ومتفهمون لما يجري في العصر الحديث ويؤمنون بما حصل ويحصل من تطور سريع في كل مناحي الحياة، لكنهم يعملون بنفس الوقت على تحصين أنفسهم قدر الإمكان ضد التيارات الضارة، ولهذا فهم يفتشون دائمًا عن الأنظمة العادلة التي تؤمن بحرية الشعوب واحترام الأقليات والبعيدة عن أي تعصب مقيت أو غلو وتطرف.

هل تهتم الطائفة بالإعلام والصحافة والتأليف والنشر ؟

نستطيع أن نجزم أن الشعب المندائي من الشعوب المتفتحة المولعة بالعلوم والثقافة والمتتبعة لكل ما يطرأ من تقدم علمي ونسبة الأمية فيهم ضئيلة جدًا ، بل معدومة قياسًا بالآخرين... وكان رجال دينهم في العصور الماضية حريصين على الحفاظ على الكتب الدينية المقدسة والتراتيل الدينية والوصايا ، وكل ما من شأنه تقوية روابط الفرد المندائي بعاداته وتقاليده، فكانوا يستنسخون هذه بدقة وعناية بخط أيديهم حفاظًا عليها ، كان هذا في العهود القديمة، أما الآن وبفضل الطباعة الحديثة فقد أصبح من الميسور الحصول على أي كتاب بالطرق الفنية الحديثة.

وفي بداية القرن العشرين الميلادي برز عدد كبير من مثقفي الطائفة الحريصين على دينهم وطائفتهم بالاهتمام بتراثهم وانتماءاتهم ، فكانوا ينشرون في الصحف المحلية في بغداد وبيروت ودمشق مقالات وردودًا وتعقيبات تخص القضايا الدينية والتاريخية المندائية ، مصححين ومدافعين وموضحين حقائق لا يعرفها الكثير من القراء ، وكانت ردودهم ضد الطغاة مثار إعجاب القراء ، ثم جرت عمليات ترجمة لما كتبه المستشرقون والأكاديميون الغربيون عن الأديان القديمة ومن ضمنها الدين المندائي. فكانت خير عون للقراء للإطلاع على ما يجرى ، كما قام الأدباء والكُتَّاب المندائيون بإصدار صحف في بلاد المهجر ، وفي بغداد حوت الكثير من الحقائق المهمة ، مثل مطبوع (المندائي) في أمريكا الذي أصدرته المفكرة والأديبة المندائية لميعة عباس عمارة، ومجلات الصدى وآفاق مندائية و(الصابئي المندائي) و(هيمنوثا) و(المدار) و(الطيف) المندائي في بغداد وغيرها من المطبوعات تولى أمرها شبابٌ مندائيون مثقفون بنجاح ومقدرة ، ومازالت هذه المطبوعات متواصلة بالصدور مؤدية أروع الفوائد في التوعية والتثقيف والإعلام.

وقد مرَّ المندائيون بمراحل شدة وقهر على مر العصور ، منها :

١- حروبهم مع اليهود في فلسطين ، وقتل أعداد كبيرة منهم بما فيهم ٣٦٥ رجل دين ، وهجرة البقية الباقية إلى مدينة حران حيث استقبلهم أخوة لهم في الدين هناك.

٢- في مرحلة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام ، ولكن الحقيقة تقال إن الدين الإسلامي أنصفهم وذكرهم في ثلاث آيات قرآنية على أنهم من الموحدين، ولكن تمَّ فرض الجزية عليهم.

٣- عند الاحتلال المغولي لعاصمة الخلافة الإسلامية بغداد ، حيث كان عددٌ كبيرٌ منهم يعمل في بلاط الخلافة وفي مراكز الترجمة والعلم والمكتبات.

هذه وغيرها دفعتهم للانزواء والعيش في أعماق الأهوار في مناطق موبوءة ليحافظوا على حياتهم ودينهم.

حوار مع البروفيسور الكنزبرا هيثم مهدي سعيد الكحيلي :

الأستاذ الأخصائي في الديانة المندائية ومقارنة الأديان وتاريخ الفكر القديم

في أثناء زيارته الأولى منذ تركه بغداد ؛ كما كتب سامح لطفي شريف ؛ يعود إلى أحضان الأرض الأم في زيارة سريعة مليئة بالمشاغل واللقاءات والبحوث، أستاذ كبير ومفكر مندائي له تاريخ مشرف في العمل المندائي الأكاديمي والبحثي، وله باع طويل في خدمة أبناء طائفته، كان لقاؤنا بفضيلة البروفيسور الكنزابرا هيثم مهدي سعيد، ودار الحوار الآتي:

*** بادئ ذي بدء؛ نود أن نعرف من هو البروفيسور هيثم مهدي سعيد؟**

– بشميهون ادهيي ربي ، الاسم هيثم مهدي سعيد من مواليد ١٩٦٤/٩/٩ ، وحالتي الزوجية متزوج من فترة قريبة قبل حوالي ست سنوات، ولدي ولدان؛ عمر الأول ٥ سنوات والآخر ٤ سنوات، أستاذ أكاديمي جامعي في أستراليا وفي تركيا ، وأستاذ محاضر في جامعة سدني ، ولدي بحوث مشتركة مع جامعات مختلفة في العالم ، لدي العديد من الاختصاصات في المجالات الإنسانية ، واختصاصي الأول هو الدين المندائي ، وتخصصت أيضًا بتاريخ الأديان ومقارنة الأديان، والتاريخ القديم وتاريخ الفكر وتاريخ الفنون ، واللغة العربية وآدابها ، والأدب العالمي المقارن وخاصة الأدب الانجليزي والفرنسي والأمريكي أيضًا ، وتخصصت أيضًا بدراسات شبه القارة الهندية والدراسات البوذية وأدرس التأمل واليوغا والبرانغ هيلنك، والري كي (العلاج بالطاقة).

*** ماذا عن تاريخ العمل في الميدان المندائي؟**

– منذ صغر سني ؛ تقريبًا ١٣ سنة ؛ بدأت بالدراسة في ميدان المندائية ، وحاولت تثقيف نفسي بنفسي من خلال ما توفر لدي من كتب ، واستطعت الحصول على كتب أخرى، ومنها كتاب الليدي دراور (الصابئة المندائيون) ، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، وهو كتاب مفيد لكل الذين درسوا المندائية

بدأت من البصرة في النشاط المندائي من أيام الشيخ عبد الله (شافق هطايي نهويلي)، وكنت أعمل معه في المندي وأساعده في المراسيم الدينية ودرست بإشرافه، وفي تلك الفترة استطعت أن أكمل الإعداد الديني، حوالي عام ١٩٧٩ كنت جاهز للطراسة، بالرغم من صغر سني.

وبانتقال الشيخ عبد الله إلى بغداد بقيت في البصرة من دون رجل دين، وهي من أكبر المدن في عدد المندائيين، وهذا سبب إحراجًا كبيرًا وفراغ في وضع الطائفة الديني هناك، فحاولت أن أملأ الفراغ على قدر المستطاع، فعملت بكل إخلاص وبكل روح عفوية وبكل ما أوتيت من طاقتي، خدمت في كل المحافظات التي تحتوي مندائيين، العمارة والناصرية والكوت وكركوك وديالي والرمادي، وكان تركيزي الأكبر على البصرة والناصرية وبغداد، حيث كنت في كل عطل نهايات الأسبوع أتنقل بين هذه المحافظات الثلاث محاضرًا ومعلمًا.

أما في بداية الثمانينات بدأ السكن في مندي بغداد الكائن في الدورة فترة العطلة الصيفية للمدارس، واستطعت أن ألتقي مع ثلاث شخصيات مندائية مهمة هم الأستاذ نعيم بدوي والأستاذ غضبان رومي، والأستاذة ناجية مراني بعد إصدارها لكتابها، وأصبحت علاقتي وطيدة بهم، وكنت أقضي الكثير من وقتي معهم، وكنت أضحي بكل وقتي ومجهودي في سبيل خدمة الطائفة، والتزامي الروحاني هو الذي مكنني من سلوك هذا الطريق بصورة حقيقية نقية بعيدة عن المصالح المادية أو المعنوية، ومن بداية مشواري وأنا متبني للمنهج العلمي الأكاديمي، حيث أستطيع في مرحلة الابتدائية أن أقرأ كتابات جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ومشواري طويل بالمندائية ويتعدى ٣٦ سنة.

*** ما هي أهم إنجازاتك البحثية ومؤلفاتك؟**

– معظم بحوثي هي بحوث علمية منشورة في مجلات علمية عالمية محكمة، وحاولت من خلالها أن أركز على الجوانب الفلسفية والعقائدية والجوانب

الناصورائية في الدين المندائي، وأعتقد أن هذا الجانب مهمل بالرغم من أنه جوهر المندائية، وركزت على الترجمات وفلسفة الديانة المندائية والفقه واللغة والتاريخ المندائي وأغلب بحوثي منشورة في كتب ومنشورات أكاديمية عالمية.

*** كيف استطعت كسب محبة واحترام المندائيين، بالرغم من كل المشكلات والاعتراضات التي واجهتك في بداية مشوارك الديني؟**

– تعرضت لمشكلات عرقلت تقدمي في البداية وكانت أسباب ذات طابع سياسي أكثر منها ذات طابع ديني، وزادت علي التعقيدات يومًا بعد يوم، لكني استطعت أن أكسب مودة الناس ورضاهم إلى درجة أني حتى قبل ١٤ سنة من طراستي والناس تناديني شيخ، وهذا ما أعتبره توفيقًا من هيي قدمايي، وأؤكد أن الجانب الروحاني الذي يمتلكه الفرد هو الذي يجعل الفرد محبوبًا من قبل الناس، حيث إن الناس على قدرة عالية على التمييز بين من يمثل الورع والتقى والإيمان ولكنه لا يحظى بمحبتهم، وأعتقد أن الجانب الروحي يغلب على الجانب العاطفي والعقلي... والتقرب للناس باحترام وببساطة وإعطائهم المحبة والاهتمام هي التي تجعلك محترمًا ومحبوبًا، فكمية الثقافة والمعلومات التي تملكها ليست هي العنصر الرئيسي لكسب احترام الناس، وأذكر أيام طراستي في مندي القادسية والشجون بداخلي حاليًا وأنا انظر إليه بعد غياب ١٨سنة، أذكر حينها أن المندي قد امتلأ عن أخره وأصبحت منطقة القادسية بارك لسيارات المندائيين القادمين للطراسة، ووصل عدد المتواجدين حينها إلى ٢٣ ألف شخص مندائي.

*** ما هو الهدف من الزيارة الأخيرة للعراق، وما هي مشاريعكم فيه؟**

– تمَّ توجيه دعوة من قبل وزارة الثقافة والإعلام لحضور مهرجان بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣م، واعتبروا وجودي بينهم مميزًا، واعتبروا أن الطائفة المندائية قد أنجبت أشخاصًا جديرين بحمل اسمها، وهم سفرائها في كل مكان، وخاصة في مهرجان بغداد، كوني فنان رسام وفخار إضافة إلى مكانتي

العلمية، وأعتقد أن أستطيع القيام بدور مهم بالرغم أن دوري هذا صغير مقارنة بدور إخوتي الصابرين والمثابرين هنا في بغداد وبقية المحافظات العراقية، إضافة إلى أنني محمل بالمشاريع والأفكار التي تهم الطائفة والمسئولين أيضًا، الهدف منها تنشيط العمل في موضوع مهم وهو أن يبقى العراق موطن المندائية، ومشروع آخر هو بيت المعرفة المندئية، والقيام بعمليات التسجيل والتأهيل الرسمية لإنشاء الأكاديمية المندائية، وهو السبب الرئيسي لقدومي، حيث استطعت الاتصال بعدد من المسؤولين والوزراء، من ضمنهم وزير التعليم العالي ووزير الثقافة والإعلام من أجل تفعيل ذلك للقيام بخطوات عملية علمية لتأسيس مراكز ثقافية وأكاديمية علمية.

*** من بغداد إلى سيدني... حدثنا عن هجرتك إلى أستراليا وكيف وجدت المجتمع الجديد؟ وما مدى تقبل المجتمع المندائي للوطن الجديد؟**

– في الحقيقة ربما أكون أول رجل دين مندائي يغادر العراق ويستقر خارجها، ووجودي في أستراليا كان نقطة تحول في حياة الجالية المندائية والعربية، بسبب نشاطي المتنوع، خرجت عام ١٩٩٦ وبطريقة صعبة جدًا، خرجت بكفالة من مركز البحوث المندائي في سيدني، ركزت اهتمامي هناك منذ الفترة الأولى على البحث العلمي والبحثي إضافة إلى العمل في الخدمة المندائية، واستطعنا (وبمباركة هيي قدمايي) أن نبتكر الحرف المندائي الإلكتروني، وكان وقتها مطور جدًا، واستطعنا كتابة الدواوين والكتب المندائية وتم تنقيح معظم الكنزا ربا ثم القلستا والانياني وسيدرا اد نشماثا، وتم إصدار قسم منها سنة ١٩٩٨م، بعدها قمت بعمل محاضرات أكاديمية عن المندائية، ومجموعة من البحوث العلمية، ونشرت في كتاب دراسات مندائية.

أما عن سؤالك الآخر عن تقبل المندائيين للمجتمع الأسترالي ؛ فأعتقد أن المندائيين كان لهم الحظ في الوصول إلى أستراليا، وذلك للفرص التي يوفرها ذلك البلد للمندائيين، والتي تساهم في تطوير واقع الديانة، فأهم مسألة بالوقت

الراهن هو تطوير مستوى الأداء المندائي، فمن دون هذا الشيء فإن الوضع المندائي سيتراجع ، وأستراليا وفرت فرصة لاحتكاك الأديان والفلسفات ببعضها، مما ساهم في إثراء معرفة الفرد المندائي في هذه الأديان، ومعرفته بدينه المندائي أيضًا، فالتراكم المعرفي الإنساني يحتم هذه المسألة.

*** هل تتوافر لديكم أي إحصاءات معلومات حول أعداد المندائيين وحول عدد المنادي (دور العبادة)؟**

– لا تتوفر أي إحصائية دقيقة لأعداد المندائيين في أستراليا ، لكن هناك إحصائية تقديرية، وهي ستة آلاف وخمسمائة فرد مندائي، ولا يتجاوز السبعة آلاف، أما دور العبادة فهناك اثنين رسميين وهناك مندييين من الطين (شخنثا)، أحدهما بنيته أنا سنة ٢٠٠٦، والآخر بناه الشيخ صلاح ٢٠١٣م، والمندائيون متواجدون بكتلة واحدة.

*** ما مدى تقبل المجتمع الأسترالي للدين المندائي الجديد في مناطقهم؟**

– تقبل المجتمع الأسترالي للجالية المندائية كان جيدًا، لكني أريد أن أشير إلى أن الجالية المندائية استطاعت أن تكسب ود واحترام المجتمع الأسترالي على اختلاف أطيافه، وهذه شهادة تاريخية، حيث أن المندائيين القاطنين في أستراليا يعملون بشكل جاد ومكثف في محاولة منهم إلى أن يعكسوا صورة أخلاقية وإنسانية واجتماعية جيدة إلى المجتمع الأسترالي ومؤسسات الدولة والمؤسسات المدنية، وعمومًا شكل الطائفة جيد، لكن وفي الفترات الأخيرة ظهرت سلبيات؛ ومنها حالات سلبية في بعض العائلات المندائية، مثل الانفصال والشكوى لدى الشرطة، امرأة تشتكي على زوجها أو رجل يشتكي على زوجته، وأحيانًا تكون هذه الشكاوى كيدية وليست واقعية، وغيرها من التصرفات غير المسؤولة على مستوى الأفراد وأحيانًا أخرى على مستوى المؤسسات.

*** هل تعزو تلك المشكلات إلى اندماج المجتمع المندائي مع الواقع الغربي أو الأسترالي الجديد؟ أم أنها أسباب ذاتية خاصة؟**

– الاثنين معًا، وهناك أسباب أخرى أيضًا... منها سفر المندائيين وهم غير مستعدين نفسيًا وفكريًا واجتماعيًا، وبالتالي كانت هناك مشاكل كأنها جمر تحت الرماد، سواء في العراق أو في دول الانتظار، فبعض العائلات المندائية تصعدت وتأثرت بالكثير من العوامل، والمشكلة هي في الفهم غير الدقيق، وغير الناضج للحضارة الغربية، مما دفع البعض إلى أن تتعثر مسيرتهم لأسباب مادية عائلية، والسبب الثاني أن مؤسسات الطائفة لا تزال تحبو في مجال جذب أبناء الطائفة للدين، وعدم اهتمام الأهل بتعليم أطفالهم التعليم المندائي وغرس الثقافة المندائية داخلهم.